**الفصل الخامس: التعبيرات الثقافية الفلسطينية**

**هناك تحولات ثقافية عميقة قبل وبعد أوسلو**

**قبل أوسلو**

في السبعينات وحتى 1982 كانت منظمة التحرير في بيروت تتبنى العمل الفدائي وايضا تسعى لتكون الممثل الشرعي الوحيد للشعب الفلسطيني، وكانت هذه المرحلة تُعرف ب "دولة الفاكهاني" في بيروت.

انعكس ذلك على الاعمال الثقافية الفلسطينية والعربية بتمجيد الثورة الفلسطينية، وتمجيد بيروت باعتبارها حاضنة الثورة، من خلال **البوستر السياسي** وكذلك **الرسم والموسيقى والشعر والنثر**.

ففي **الداخل (الضفة وغزة و48)** قدم الفلسطينيون الإسناد للثورة في بيروت والدعم لوحدانية المنظمة ورفض القيادات البديلة، انعكس ذلك على أعمالهم الفنية، مثلا:

1. **المسرح:** اول مسرحية لنقابة الحدادين 1968 مثل فيها مصطفى الكرد،

فرقة بلالين ودبابيس وفرقة صندوق العجب في رام الله،

وفرقة الحكواتي في القدس،

عرض مسرحية "عائد الى حيفا" عن قصة غسان كنفاني في جامعة حيفا،

وعرض مسرحية "رجال في الشمس" عن قصة غسان كنفاني في المسرح البلدي في الناصرة

1. **أفلام:** اول فيلم "عيش وملح" للمخرج فرانسوا ابو سالم وعرض في رام الله

أما في **الشتات** فكانت الحركة الثقافية نشطة جدا على الصعيد السياسي والتاريخي والاجتماعي، من الأمثلة:

1. **الابحاث**: برز دور مركز الابحاث الفلسطيني التابع لمنظمة التحرير في اصدار الابحاث السياسية في بيروت،

ودور مؤسسة الدراسات الفلسطينية في الابحاث التاريخية والسياسية في بيروت وواشنطن

1. **السينما**: نشطت الحركة الفنية الفلسطينية في مجال السينما بمشاركة السينمائيين اللبنانيين والعراقيين
2. **الفن التشكيلي**: بروز فنانين تشكيليين مثل اسماعيل شموط، منى السعودي، ابراهيم غنام، مصطفى الحلاج
3. **الغناء**: برزت فرقة العاشقين في نشر الاغاني الفلكلورية والثورية مثلا "محمد جمجوم"
4. **الرقص**: أعمال فلسطينية في الرقص الفلسطيني الابداعي بمشاركة من لبنان ومصر
5. **المسرح**
6. **الملصق الثوري او البوستر**
7. **الشعر**: محمود درويش، مريد البرغوثيسعدي يوسف، غسان زقطان، زكريا محمد، شعراء الرصيف...
8. **مجلات فلسطينية تابعة للفصائل**: مثل مجلة فلسطين الثورة (فتح)، مجلة الحرية (الجبهة الديمقراطية)، الهدف (الجبهة الشعبية)

وحتى بعد خروج الثوار من بيروت سنة 1982 وتشتتهم في العواصم العربية وحدوث المجازر في المخيمات، استمر الفنانون والأدباء بتمجيد بيروت حفاظا على صورتها كحاضنة للثورة الفلسطينية التي مضت. وعبروا عن رموز الحصار والمجازر وطائر الفينيق، أمثلة:

1. **رواية باب الشمس الصادرة في 1998 للكاتب إلياس خوري التي عبرت عن التراجيديا الفلسطينية**
2. **ديوان شعر "لماذا تركت الحصان وحيدا" للشاعر محمود درويش**
3. **قصيدة أحمد الزعتر لمحمود درويش التي تعبر عن ابن المخيم المقاوم المطارد المخذول من الاشقاء العرب**

وبعد الخروج من بيروت، تركز ثقل العمل المقاوم في داخل فلسطين واتخذ شكل المقاومة غير المسلحة التي تصاعدت في الانتفاضة الاولى، والتي أحدثت صدى كبير في الخارج.

وكنتيجة لهذه المراحل النضالية، أتت **وثيقة الاستقلال** التي صاغها الشاعر محمود درويش في 15 نوفمبر(11) 1988 وترجمها المفكر ادوارد سعيد الى الانجليزية، وهي أحد اهم المنعطفات في التاريخ الفلسطيني، لماذا؟ للاسباب التالية:

1. **رغم ان الوثيقة عبرت عن تاريخ المقاومة، وحظيت بإجماع فلسطيني الا انها:**
2. **عبرت عن تغيير كبير في الوعي النضالي الفلسطيني**
3. **فيها اعلان عن إنهاء الكفاح المسلح**
4. **فيها اعتراف ضمني بإسرائيل**
5. **فيها موافقة على اقامة الدولة الفلسطينية على حدود 67 فقط**
6. **فيها نقل حالة النضال من الخارج الى الداخل – الضفة وغزة – وتحييد فلسطين المحتلة عام 48**
7. **تعطي انطباع بانعدام السبل امام القيادة الفلسطينية، ولابد من طرق جديدة غير التي كانت**

**بعد أوسلو**

ثم وقعت القيادة الفلسطينية اتفاق اوسلو سنة 1993**، وجهات النظر عن أوسلو**:

* **المؤيدين** : **1**) **اتفاق اضطرار، 2) بوابة لبناء الدولة والاستقلال**
* **المعارضين**: **مثل المفكر ادوارد سعيد : اتفاق استسلام وتراجع عن وثيقة اعلان الاستقلال**

**المخرج رشيد مشهراوي عبر في فيلمه "حيفا" الذي عرض في 1969 عن أوسلو:**

1. **تجزيئ للقضية: بين 67 – و48**
2. **تكريس للشتات: شتات جغرافي ومعنوي : قضية 67 غير قضية 48**
3. **قتل حلم العودة: اللاجئ سيبقى لاجئ (عاد بعض اللاجئين الى بلد غير بلده، ومنهم بقى في الشتات)**
4. **موت عمة حيفا في الفيلم يرمز الى موت القضية برمتها**

أحدثت اوسلو انقساما بين الفلسطينيين، وأدى الى ضياع الهوية الثقافية الجامعة، بمعنى ان **الحركة الثقافية اتفقت مع الحركة السياسية على المصالح المشتركة،** ولم يحدث ان اختلف الاثنان حول موضوع سياسي او اجتماعي، مع انه من المعروف بالعادة ان المثقفين هم صمام الأمان الثابت ويجب ان يكونوا في حالة معارضة دائمة مع النظام السياسي المتحول والمتنازل، ولكن في حالة السلطة الفلسطينية كان هناك تواطؤ وتوزيع أدوار بل اصبحت **الحركة الثقافية تروج للنظام السياسي بطريقة تشبه الانظمة العسكرية العربية.**

وبما ان السلطة اعتمدت على الموافقة الاسرائيلية والمساعدات الدولية، تراجع دور المنظمة واهمية المخيم، بل توهمت السلطة بالاستقلال وانشغلت ببناء الاجهزة ونشاط السوق، وتشكلت نخبة سياسية واقتصادية وزادت الفروق بين الطبقات، ونتج صراع على التمثيل السياسي والثقافي والهوية الوطنية، **وهنا برزت الحركة الاسلامية بديلا عن اليسار في تمثيل الطبقة الفقيرة والعمل الفدائي والاناشيد الوطنية.**

**الحركة الاسلامية:**

قبل أوسلو كانت حركة الاخوان المسلمين منفصلة عن فصائل منظمة التحرير (فتح واليسار والقوميين) ومعارضة لها، ولكن ظلت فتح هي من يمثل الهوية الوطنية لكل الشعب الفلسطيني .

أما بعد أوسلو، عملت حماس على تكريس **صورة** الفدائي المقاوم وتبني العمليات الاستشهادية، ومعارضة مشروع السلطة الاستسلامي، وظهر نزاع بين **خطاب** الاسلام السياسي وخطاب السلطة الوطني، وانتشر مصطلح **"العائدين وثقافتهم المستوردة من الخارج"** وصفاً لكوادر السلطة، وحاولت حماس استبدال المنظمة بالمشروع الاسلامي وصبغ كل ما هو وطني بصبغة اسلامية.

**التعبيرات الثقافية**

* **حماس**:حولت حماس التعبيرات الثقافية الى اسلامية ومنها الاغاني التي ظلت بنفس اللحن ولكن كلمات اسلامية:

1. **اغنية طل سلاحي من جراحي**
2. **اغنية موطني عن قصيدة ابراهيم طوقان**
3. **اغنية فلسطينيين**

* **السلطة**: وبعكس الحركة الاسلامية فإن التعبيرات الثقافية لبرنامج السلطة مغايرة تعبر عن الدولة المستقلة والحياة العادية اليومية السطحية، وتعددت أشكال النشاط الثقافي المعاصرة بين الرقص والغناء والفن التشكيلي وعروض الهيب هوب ومهرجان الرقص المعاصر السنوي في رام الله.
* **نقد السلطة**: بالمقابل، نشأ نشاط ثقافي ناقد لنهج السلطة وتعبيرات ثقافية عن المنفى والعودة، وتأكيد على الهوية الفلسطينية مثل:

1. مشروع **حسن خضر** النقدي
2. الشاعر **مريد البرغوثي** في كتابه **"رأيت رام الله"**
3. الشاعر **محمود درويش** في قوله **"الطريق الى الوطن أجمل من الوطن"**
4. الكاتب **عباد يحيى** في رواية **"رام الله الشقراء"** 2013 التي انتقد فيها سطحية الحياة اليومية للطبقة الوسطى في رام الله (على شكل تقارير صحفية اكثر منها رواية)
5. المخرج **إيليا سليمان** في فيلم **"سجل اختفاء "** 1996 انتقد ايضا سطحية الحياة اليومية في 48 بلغة سينمائية، ويحكي عن قصص يومية مختلفة غير مرتبطة ببعضها ولكن يجمعها الايام المملة المتكررة والتفاهات والثرثرة التي فيها دلائل اجتماعية وسياسية ، انشغال الناس باللاشيء. بالمقارنة بين هذا الفيلم وفيلم "حيفا" لرشيد مشهراوي، الذين عرضا في 1996 أي بعد أوسلو نجد ان "حيفا" يعلن عن موت القضية سياسيا بينما الثاني يعلن عن اختفائها في الشارع، لكن في بيئتين مختلفتين
6. الكاتب **احمد حرب** في رواية **"الصعود الى المأذنة"** 2008 عبرت عن رفض الكاتب لأوسلو ومحاولة لترميم وتوحيد الهوية الفلسطينية حيث دارت أحداثها في قرية الظاهرية المهمشة في الخليل، وقصة حب متخيلة بين فتاة فلسطينية وجندي يهودي في زمن الانتفاضة الاولى، وقد كانت هذه الرواية استكمالا لروايته السابقة "اسماعيل" التي تحدث عن قصة حب متخيلة عكسية بين فلسطيني ويهودية. وكيف ان الاحتلال يطغى على كل ما هو انساني.
7. الشاعر ابراهيم نصر الله في مجموعة **"الملهاة الفلسطينية"** في سبع اجزاء، محاولة الشاعر لإعادة تأسيس الهوية الفلسطينية بعيدا عن المشروع الصهيوني، وأحد أجزائها رواية "زمن الخيول البيضاء" التي تحدثت عن قرية فلسطينية **"الهادية"** قبل النكبة وكيف كانت القرية ضحية نزاعات التقسيم الاقطاعي العثماني مما جعلها لقمة سائغة للاحتلال البريطاني، وصور المرأة في شخصية "ريحانة" التي كانت شخصيتها مختلفة في سلوكها وقيمها، وأيضا الرجل المسيحي كجزء طبيعي من مكونات قرية الهادية. قال عنها النقاد بأنها رواية مهمة ومبدعة في تصويرها لأسباب النكبة. أما القسم الثاني من الملهاة فكانت رواية **"قناديل ملك الجليل"** عن تاريخ فلسطين البعيد وجذورها في تجربة "الظاهر عمر" وكيف ان اليهودي جزء من هذا التاريخ. هذه الملهاة بجزئيها هو عمل تحرري خالص بعيد عن الصورة الصهيونية التي رسمها الاستعمار في النكبة.
8. المخرج **هاني أبو أسعد** في أفلامه **"الجنة الآن" و "فورد ترنزيط" و "عمر"** عالج فيها موضوعين حساسين، احدهما الاستشهاد دافع فيها عن الاستشهاديين خاصة في احداث الانتفاضة الثانية 2000 والتي استشهد فيها 13 فلسطيني من 48. وموضوع العملاء عام 1967 حيث عبر عن استيائه للموضوع.
9. الكاتب **محمود شقير** وروايته "**القدس"**
10. الكاتب **فيصل الحوراني** في مجموعة **"دروب المنفى، الوطن في الذاكرة"** والجزء الاول منها رواية **"المسمية"** وسيرة شعبه منذ الثلاثينيات من القرن العشرين
11. الكاتب **يحيى يخلف** في رواية **"ماء السماء"** عن تاريخ نكبة قريته "قرية مسخ" وما بعد النكبة
12. **حسين البرغوثي** في ونصوص المقالات **"حجر الورد" و"الضوء الازرق" و"سأكون بين اللوز"** تأكيد على هوية الفلسطيني ضد الانقراض.
13. **محمود درويش** في شعره **"على هذه الارض ما يستحق الحياة"** تأكيد على الوجود الفلسطيني على أرضه
14. التعبير عن تكريس الهوية الفلسطينية في اقامة الكثير من **مشاريع المتاحف والارشيف**

**الملخص:**

* اختلف المفكرون في تعريف الثقافة: هل الثقافة هي التي تحدد طبيعة المجتمع أم بالعكس أن طبيعة الأفراد وعلاقاتهم هي التي تحدد طبيعة الثقافة. انقسمت وجهات النظر الى 3 انواع:

1) توجه مثالي: الثقافة تتطور وغير مرتبطة بحركة المجتمع

2) توجه مادي: تطور الثقافة مرتبط بحركة المجتمع والتغيرات فيه

3) يجمع بين الاثنين: التأثيرات متبادلة بين تطور الثقافة وتطور المجتمع

* بشكل عام عبر جميع الفلسطينيون عن مأساتهم سواء سلوكهم او انتاجهم الثقافي الذي أظهر شعورهم بالتعب والسخط على العرب، والتعبير عن المقاومة والتصميم، او الشعور بالعجز ونكبتهم التي أصيبوا بها. هذه الأساة التي شكلت الوعي الفلسطيني الخاص دونا عن باقي المجتمعات الأخرى.
* بعد 1967 واحتلال باقي فلسطين، انتقل الفلسطيني الى حالة جديدة من الفقدان والشتات والذي أحدث تحول جذري في الثقافة الفلسطينية
* بعد 1967 أصبحت هموم وصعوبة الحياة اليومية نتيجة الاحتلال هي حال ثقافتهم، متمثلة في الشعر والرواية والافلام لفلسطينيي ال 48 عبروا عن المواجهة مع العسكر، والانتفاضة، السجون، الحواجز، يوم الارض، المقاومة، الشهداء، التمييز العنصري ضدهم، الفقدان، الشتات
* نشأت في منطقة الجليل والمثلث 1965-1985 ثقافة أصيلة وفن مستقل عبرت عن تمسك الفلسطينيين بأرضهم وظهر ذلك في الشعر المعاصر
* اختلف الوعي الفلسطيني حسب البلد التي لجأوا اليها، كل تجربة مختلفة عن الأخرى حسب الظروف التي عاشوها في السياسة والتعليم والثقافة ونجد ذلك واضح في الأدب الفلسطيني، ولكن يجمعها موضوع مأساة فلسطين.
* مركزية موضوع اللاجئين ظهرت في الثقافة الفلسطينية، وثنائية الشتات والوطن
* تحول الفلسطيني من حالة المقموع والمستجدي الى حالة الصمود والتحدي وخاصة مع نشوء منظمة التحرير واعلان مسؤوليتها عن تحرير فلسطين والكفاح المسلح، وظهر ذلك في تعبيراتهم وانتاجهم الثقافي من شعر ومسرح وافلام وموسيقى..
* تمكنت الثورة والمنظمة من تحويل العمل الفدائي الى رمز ثقافي جامع، يتجاور مع صورة بيروت عاصمة التحرر، ظهر ذلك في البوستر السياسي بشكل رئيسي، بالاضافة الى تعبيرات فنية بالموسيقى والمسرح والافلام .... وخاصة خارج فلسطين
* بالتزامن مع نشوء المنظمة في بيروت، عبر الفلسطيني في داخل فلسطين عن إسناده للمنظمة وبيروت رمز الثورة، ورفض القيادات البديلة وكانت التعبيرات الثقافية للفسطينيين داخل فلسطين صدى لبيروت والثورة
* أحدثت أوسلو انقسام عمودي وسياسي وهوياتي وطبقي واجتماعي بين الفلسطينيين انعكس على تشظي الهوية الفلسطينية، وأدى الى تنامي الحركة الاسلامية (الاسلام السياسي) التي تفوقت على اليسار في تمثيل الطبقة الكادحة التي تم إبعادها عن أجهزة الدولة، وعملت الحركة الاسلامية على أسلمة التعبيرات الثقافية. مقابل حركة الأسلمة ظهرت حركة ثقافية تدعو لنهج الدولة المستقلة للسلطة وهي تعبيرات متعولمة (الرقص والمهرجان مثلا) أظهرت صورة عادية الحياة (كأن شيء لم يكن).